كانه اسمها اميلى

تأليف : أرسكين كالدويل

ترجمة : إسماعيل البنهاوى

ليس هناك شيء آخر يمكنني ان افعله . لا استطيع ان استمر في الحياة اكثر من هذا . فحتى يوم واحد آخر من هذا العذاب سيكون اكثر مما يمكنني ان احتمل .

لقد مضى على رواحي عامان حتى الآن وما كان لرجل آخر في العالم كله ان يكون عزيزا على كما كان روحي . راي، طوال كل ايام حياتنا معا .

لا استطيع ان اتخيل كيف يمكن ان يكون اكثر ولاء لي ؟ واني لسعيدة ان يكون هو الرجل الوحيد الذي احببته حقا ماحييت . لم يكن في امكاني ابدا، ابدا ، ابدا ان احب اي شخص آخر كما احب راي . ولكني ، خلال عامين حتى الآن ، كنت اعيش في عذاب دائب، واني لم اعد استطيع احتماله يوما آخر بعد .

ان ما حدث لي هو خطئي انا . لم يكن لراي اي شأن به . بل هو حتى لا يعلم شيئا عنه . وانما يقع اللوم على وحدي .

لقد حاولت طوال هذه المدة ، ليلا ونهارا ، ان افكر في كل وسيلة ممكنة تعزى والترجر لنواي ان يمضي حتى يمكنني ان اكف عن خيانة راي . وكنت على ركبتي ، لا ادري كم من المرات ، وتوسلت الى والتر ان يمضي ولكنه لم يكن ليسمع الى . كل مرة احاول ان احدثه في ذلك يهددني بان يحبر روحي . وكان راي يقول لي دائما انه سيتركني لو حدثته واكتشف هو اني كنت خائنة . واني لأعلم انه يعني ما قال . اني احبه جدا حتى اني لافعل اي شيء في العالم لاحول دون ان يتركني . لست اريد ان اخون راي — فهذا آخر ما اريد ان افعل على هذه الارض . اريد ان اكون مخلصة له ، لأنه راي . وروحي . اني اكره نفسي كل دقيقة في اليوم لما كنت افعله .

منذ اربع سنوات ، عندما كنت في الثالثة والعشرين ، دهمت لأعمل آمية خرافة في مكتب والتر . وكنت اذ ذاك لم اكد انتهي من دراستي التجارية في كلية الاعمال . كان ذلك قبل أن أتزوج راي هاموند بسنتين . وكان والتر وكيلا لاعمال مصدري صفائح الزيت . وكان لديه مكتب صغير للوكالة في الدور الثاني من عمارة مبنية بالطوب الاحمر قريبة من رصيف الميناء بين النهر وميناء جاكسون . وكان والتر — الذي

عاش كل حياته فى نيو أورليانز ـ فى الرابعة والثلاثين حينذاك ، وقد أخذ على عاتقه مهمة ادارة شئون الوكالة عندما مات أبوه ، وكان هناك كثير من وكلاء الاعمال وشركات التصدير فى ذلك الجزء من المدينة ، لكونه يقع فى نطاق بعض صفوف من مراسى نهر المسيسبى وارصفته .

كان والتر أعزب ، يسكن شقة فى الدور الثالث من نفس العمارة . كانت شقة كبيرة فسيحة ، لها مرأى رائع على النهر ، وشرفة واسعة تدور حديقة تطل على الميدان . كان والتر رجلا انيق الملبس ، وسيما ذا قامة طويلة منصفة ، له شعر حالك السواد ـ اسود من شعرى ـ وعينان صافيتان مائلتان .

كان يبدو لى دائما انه من السهل وقوع اى فتاة فى حبه ، وربما وقعت كثيرات أنا نفسى كنت على حافة الوقوع فى حبه مرات كثيرة ، وكثيرا ما عجبت ماذا كان يمكن أن يحدث لى لو انى فعلت . كنت أصعد الى شقة والتر فى الدور الثالث بعد ساعات العمل عدة مرات فى الاسبوع ، وأبقى معه أحيانا طول الليل بدلا من الذهاب الى بيتى فى جتللى ، حيث كنت اقيم مع أمى وأختى الصغرى . وكل مرة كنت أبقى فيها مع والتر ، فى تلك الايام ، لابد انى كنت لأوافق بتشجيع على أن اتزوجه أو أنه سألنى . ولكنه لم يسألنى أبدا . وانما كان يقول لى كثيرا انى على درجة من الجمال تكفى لاشباع اى رجل وانه يؤثر أن يبقانى دون اى فتاة عرفها على الاطلاق .

وفى خلال السنة الاولى ، وقبل أن أعرف رأى ، كان والتر يأخذنى فى رحلات نهاية الاسبوع الى بيلوكسى وجلفبورت وباس كريستيان ، طوال الصيف ، وكنا نسرى بقلائك فى الخليج ، ونستقلى على الشاطىء فى ضوء القمر . كنت سعيدة حينذاك ، لانى ادركت كم كنت وحيدة من قبل أن تتوثق علاقتى بوالتر . كان أول رجل رعيته وأول رجل أردت أن أمارس الحب معه ، وربما لهذا السبب ، لم يبد لى أى شىء مما كنا نفعله خاطئا . وكنت أفكر انه سيتزوجنى حتما آجلا أو عاجلا أن اتزوجه ، وكنت أتمنى أن يفعل ذلك كل مرة كنا فيها معا . ومع ذلك ، لم يعرض على الزواج أبدا .

سألته ذات ليلة على الشاطىء فى بيلوكسى : « والتر : هل كل أخوتك وأخواتك متزوجون ؟ »

قال ، وهو يضحك من ذلك : « كل الثلاثة تزوجوا واستقروا فى المعيشة مبكرين ، ياحبيبتى ، ولكنى كنت مختلفا دائما ، واظنها الطريقة الملائمة لما أنا عليه انى مازلت من الخارج أرقب ما فى الداخل . »

فسألت : « أتلك هى الطريقة التى تريدها ان تكون ، يا والتر ؟ »

قال وهى صوته معنى لايخطىء ، وهو كذلك بالتأكيد ، ياحبيبتى ، انى دائما أجعله كتقريب لى أن أحصل على الاشياء بالطريقة التى أريدها بها . »

ولقد كان بعد سنة من ذلك ، حينما قابلت راى هاموند ، وسألنى ان اتزوجه بعد اسبوع من لقائنا ، كان راى

عطوفا ، كريما شهما ، وكنت واثقة منذ البداية انى لن اندم ابدا على رواحى لو فعلت . لم يكن وسيما كوالتر ، ولم يكن فى مقدوره ان يدفع نفقات ارتداء ملابس عالية ، ولكنه تفوق الى اكثر من اى شخص آخر عرفته على الاطلاق كان رأى يعمل فى شركة تامين . قال انه سيكون قادرا فى خلال اعوام قليلة ان يعول كليتا ، وربما اثنين او ثلاثة اكثر فى نفس الوقت . كنت اعلم انه يريد اطفالا ، وكنت انا كذلك اريد . كان يريدنى ان استمر فى العمل حتى يحين الوقت الذى يكون لى فيه طفلنا الاول . كان رأى وقتئذ فى الثامنة والعشرين ، وكان يتطلع الى ان يصبح مديرا مساعدا لمكتب التامين فى خلال عامين .

قال فى نفسه : « سنقف على اقدامنا بعد عام او اثنين ، وان تكونى فى حاجة الى العمل يوما آخر بعد ذلك . هذا شىء استطيع ان اعد به . عليك فقط ان تنتظرى وسترين . »

قلت له : « انا لا يهمنى ان اعمل يا رأى ، ولكنى اريد ان اؤسس بيتا لنا ، وساكف عن العمل يوم تريدنى ان اكف » .

قال : « سانتظر حتى لا يكون علينا ان ننتظر طويلا مجىء ذلك اليوم . هذا هو مطمحى الاكبر فى الحياة الآن » .

وحينما احترت والتر فى اليوم التالى بما كنت افكر فى شهيده . قال لى ان امضى فاتزوج رأى ان شئت ذلك ، ولكنه لن يتسارل عنى وانه يتوقع منى ان اواظب على الذهاب الى شقته بعد ساعات العمل كما كنت افعل فى السنتين الماضيتين . ولم اكن استطيع ان اصدق انه كان يعنى حقا ما قال . ومادمت قد كنت احب رأى بعمق ، فقد ظننا راسبا وبروجيا . وخطا فورا لقضاء اسبوع شهر عسل فى فلوريدا . كنت فى نهاية السبعينات مع رأى لدرجة انى سميت كل ما يتعلق بوالتر وما قال انه يتوقع منى .

اول يوم عدت فيه الى العمل ، بعد ذلك الاسبوع الرائع فى فلوريدا مع رأى ، طلب منى والتر ان اقابله فى شقته فى عصر نفس اليوم بدلا من عودتى الى البيت فى الخامسة والنصف . بكيت وحاولت جهدى ان اجعله يفهم انى احب رأى ولا اريد ان اكون خائنة ، احتل كياني لدرجة انى لم أدر ماذا افعل . فى البداية ، ضحك منى والتر وسخر من حديثى . ولكنه ، بعد ذلك ، لما الححت فى التوسل اليه ان يدعنى ، غضب بشدة وقال انه سيخبر رأى اننا كنا عشيقين لمدة سنتين ان لم افعل كما اراد . ربما كان يجب على أن اقول له ان يذهب فيخبر رأى بما يشاء ، وعندئذ ربما كان كل شىء قد تغير فيما بعد . وربما كان ذلك خليقا ان يكون احكم ما يمكن ان افعله ، او ربما كان على ان اخبر رأى انى كنت على علاقة بوالتر واحسب ان رأى كان سيغفر لى حينذاك ، لاننا كنا على حب عظيم وكان يبدو انه لن تكون هناك نهاية ابدا لشهر عسلنا . وعلى اى حال ، كان يمكننى ان أترك وظيفتى فى مكتب والتر وان اجد عملا فى مكان آخر . ولكنى كنت اخشى والتر خريوناى . كنت اخشى ما يمكن ان يحدث لو

رفضت أن أذهب الى شقته معه ، وهكذا صعدت في الخامسة والنصف الى الدور الثالث بدلا من العودة ، الى راى .

أعد والتر جريندواى كئوسا من الجن بالشمبانيا وجلسنا هناك ننظر كل للآخر لمدة طويلة . كان الوقت صيفا آنذاك ، ودافئا . وبين الفينة والأخرى تمر نسمة رحمة آتية من الخليج خلال النوافذ المفتوحة ، كنت أفكر في راى وفي البيت الصغير الذي استأجرناه . كنت استطيع أن أراه يسطرني في البيت وكنت أعلم مدى الأذى الذي يمكن أن يحيق به لو علم أين اكون وسبب وجودي هناك . وبعد هذا لم استطع أن أوقف دموعي .

قال والتر بعد قليل ، « لا فائدة من الاستمرار هكذا ، ياحبيبتي » . وجلس بجانبي ووضع ذراعيه حولي وقبلني . اردت أن اقاومه وابعده عني ، ولكني كنت اعلم مدى عقم محاولة ذلك . فقد كان من عادته أن يتخذ طريقه معي بالقوة . ويمكنني أن اقول كم كان مصمما وفتنذ على المضي في ممارسة الحب معي . وكنت في ذلك الوقت من الضعف والخور رغبا وتعاسة بحيث كنت يائسة تماما . وعندما فتحت عيني اخيرا ، كانت الدنيا ترداد ظلمة في كل مكان ، وبعدئذ استلقيت هناك أنتحب مدة طويلة . سمعت والتر يقول بعد فترة : « ستشعرين بتحسن اكثر فيما يتعلق بهذا ، ياحبيبتي . لست بالفتاة التي تريد أن تصبح نهاية لكل ما بيننا . لقد عرفنا بعضنا مدة اطول من أن تسمح بحدوث هذا الآن . فهو يمكن أن يستمر الى الأبد ، وانك لتعلمين ذلك ، الا تعلمين ؟ »

فصرخت : « انا لا اعلم — لا اعلم ! كل ما اعلمه اني اريد الذهاب — ارجوك دعني اذهب ، ياوالتر ! »

« انك مضطربة الآن ، يا حبيبتي . فقط ، اهدئي ، وستشعرين بتحسن كثير » .

« ساحبر راى — ساحبره كل شيء بمجرد ان اصل الى البيت ! »

« اذا فعلت ، فستكون هذه آخر مرة يستمع فيها اليك . يحسن بك ان تفكري في ذلك » .

كان في امكاني ان احس بجسمي يرتعش كله .

بكيت في ضعف : « أوه ، يا الهي العزيز ! »

فتركني والتر وذهب الى الجانب الآخر من الحجرة .

سمعته يقول : « ساعد كئوسا اخرى من الجن بالشمبانيا . هذا يعين » .

عندما وصلت البيت في الساعة العاشرة تلك الليلة ، كنت اريد ان اخبر راى بكل ما حدث واتوسل اليه ان يغير لي ويساعدني . لاحظ فورا كم كنت مختلة وحاول ان يستحثني على ان اقول له سبب كوني هكذا . اخذني في ذراعيه وضمني بقوة ، ولكن حتى وانا متعلقة به ، كنت لم ازل عاجزة عن ان احمل نفسي على اخباره . وفي كل مرة كنت اتذكر تهديد والتر لي كنت

أشعر بالخوف من أن يحدث شيء فظيع لراي . فقد كنت اعلم ان والتر قد قتل رجلا مرة في مشادة بسبب امراة . وكنت اخشى أن يحدث الآن شيء لراي .

هذا هو السبب في اني لم أخبر راي هذه المرة ، و المرة التاليه حينما كنت مع والتر . وهكذا بقيت عامين ادهب الى شقة والتر كل مرة يطلب مني فيها أن أذهب . كان ذلك يحدث على الاقل مرة في الاسبوع واحيانا مرتين او ثلاث مرات في الاسبوع . بينما يعتقد راي انى اعمل الى وقت متاخر في المكتب تلك الليالي ، ولا اظنه شك مطلقا في سبب عودتي متأخرة كثيرا .

لم ينقطع راي أبدا عن الحديث بشأن انجابنا طفلا منذ تزوجنا خلال عامين مضيا ، وكنت انتظر طوال هذا الوقت مؤملة كل يوم أن يدعني والتر . ترقى الآن راي الى مدير مساعد في المكتبة ، ويتقاضى ثلاثة اضعاف المرتب الذي كان يتقاضاه حين تزوج . قال لي عدة مرات اخيرا انه يحسب ان الوقت قد حان لاكف عن العمل . وانا ، ليلة بعد ليلة ، رافدة صاحبه في الظلام بحاسب راي ، بقيت آمل وأصلي أن يجد والتر شخصا آخر يرديه أكثر مني ، ولكنه ظل دائما نفس الاسبوع وراء الاسبوع ، وهو لايزال يقول انى اشبهه امرأة يعرفها ، وانا الآن حامل ولست واثقة طفل من أحمل ؟ . اني احب راي لدرجة اني لا استطيع أن ادعه يعتقد انه او طفل بينما لا يمكنني ان أجزم ان كان هو أم والتر هو الأب . فطالما عشت — ولا يهم مدى حبي للطفل الذي ولدت — فاني ساكون شقية وتعسة من أجل راي - .

الوقت متاخر الآن بحيث لا يسمح بان اكرر رحلتي لوالتر ان يدعني اترك عملي واكف عن رؤيته . لانه حتى لو تركني فعلا ، فساظل لا اعرف ابدا ان كان هو او راي والد الطفل .

لا استطيع ان اخبر راي الآن ، وان اساله ان يعفر لي ، لانه حتى لو غفر لي حقا ، فسيظل يعيش في ذلك الشك الرهيب . ليتني حدثت راي عن والتر منذ عامين ، كان يجب على ان اخبره بكل شيء ذلك اليوم الذي عدت فيه الى العمل بعد شهر عسلنا — بل كان يجب على ان اخبره قبل ذلك ، ذلك ما كان يتحتم على ان افعل . ولكن الوقت متاخر الآن — اوه ، متاخر جدا .

اني اعساني جراء ما فعلت . والآن والطفل في الطريق فاني لا أستطيع تحمل هذا العذاب يوما اخر . هناك فقط شيء واحد تبقى لي أن أفعله . فاني لم اعد استطيع أن أحيا بعد . على أن امضي فانفذ ما قررت . ما عدت احتمل الاستيقاظ في الصباح مرة واحدة أخرى وأن يتنابني هذا الشعور الفظيع حتى لمجرد يوم آخر . سيكون هذا افضل للجميع كذلك . سيكون افضل لراي .

قد تكون هناك طرق اخرى ، ولكني لا أستطيع التفكير في اي منها الآن . لقد فكرت وفكرت حتى أن عقلي يرفض ان يكون عقلا بعد . على ان امضي فانفذ ما قررت .

... كان اسمي اميلي .